اللّغة في التلفزيون وظاهرة التأثير في الاستعمال

(المستوى الصوتي أنموذجا)

الأستاذ: سعيد بوخاوش
جامعة سعد دحلب –البليدة

إذا كان موضوع الدراسة يتعلق أساسا باللغة الإعلامية في التلفزيون و آثارها في الاستعمال في المستوى الصوتي فيجدر بنا أولا أن نتعرف على كيفية تأثير التلفزة في المتلقي .

إن أثر التلفزة على الفرد و المجتمع في الجانب اللغوي واضح ، فما هي طبيعة هذا التأثير في الجانب الصوتي؟ و كيف يفسر لسانيا؟

– اكتساب اللغة والبيئة (أهمية السماع):

إن الطفل حسب السلوكيين يكتسب لغته من خلال ترعرعه في بيئته ومن خلال سماع كلام المجتمع المحيط به. وهذا الاكتساب طبيعي يتم عند الإنسان بصورة طبيعية ولا يرتبط بجنس الطفل، إنما الطفل (الإنسان بصفة عامة) يكتسب لغة البيئة التي يسمع كلامها خلال نموه الطبيعي[1].

يقول ابن خلدون في المقدمة : " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم ، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم ومخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لايزال سماعه لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم ، وهكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال، وهذا ما تقوله العامة أن اللغة للعرب بالطبع أي بالمكلة الأولى التي أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم" [2] .

من هذا القول يمكن اعتبار أن اللغة العربية تكتسب بفضل السماع، فالإنسان الذي يعيش في المجتمع بصورة عادية طبيعية، يأخذ اللغة طبيعيا أيضا ، وهذه العملية ليست تعليمية ، وإنما تتم بصورة عفوية مثلما هو الحال مع وسائل الإعلام من خلال تعريض السماع للكلام المحيط به ، فعملية الاكتساب عملية ذاتية يقوم بها الإنسان من خلال قدراته الذاتية، ومن خلال سماعه كلام أهله أو أهل جيله عبر قنوات مختلفة ، فاللغة تكتسب من البيئة التي يعيش فيها الفرد ويتعامل مع أهلها ، فالطفل هو محور عملية الاكتساب النموذجي الحي والواقعي .

"إن الطفل يسمع ويحاول أن يفهم ، وبمرور الزمن ، يعمق فهمه وإدراكه للمسموع المتكرر ، المسوق على أنماط لغوية معينة ويحاول أن يدرك ثم يميز بين هذا المسموع، فيكتسب ما شاء له أن يكتسب منها ، وفقا لمراحل نموه اللغوية ، إنه لا يتعلم بمعنى أنه لا

يلقن ليحفظ هذه المفردات والعبارات والجمل وإنما سمعها مرارا وتكرارا حتى يحين الوقت الذي يسمح نموه الإدراكي للغة باكتسابها وإذا به في فترة معينة يكتسبها بنفسه"[3]

" والطفل أثناء سماعه الكلام يكتسب مع ذلك وسيلة تعبير إبداعية تتيح له التعبير عن أفكار متجددة"[4].

و أثناء الترعرع تعتبر اللغة وجدانية .. وهكذا تكتسب اللغة من البيئة التي نشأ فيها الطفل و من مجموع جمل المتكلمين في البيئة المحيطة به، و يكتسب الطفل المنوال والقالب الصوتي والصرفي والنحوي و الدلالي والبلاغي الإعلامي والتواصلي..و ذلك بصورة ضمنية ، فالطفل لا يعرف أن هذا اسم وذاك فعل ، وأن هذه أداة نفي أو استفهام أو عطف ...إلخ وكذلك لا يعرف ترتيب قواعد الكلمات في الجمل أو الروابط والعلاقات بينها ، أو أوجه إعرابها.

إن الطفل لا يعدو أن يكون سامعا أو ملاحظا لما يسمع ، ومدركا له ، في أول الأمر ثم يستخلص بنفسه- حسب مراحل نموه الإدراكي- ما يستطيع من قواعد اللغة وضوابطها من النماذج التي يسمعها، ويحاول تطبيقها ، وقد يعود لها إذا اكتشف خطأ في التطبيق ، وهكذا يستمر على هذا المنهاج إلى أن يستوعب قواعد لغته ويسلم له تطبيقها ، حتى يطابق كلامه كلام بيئته في مجمله. بحيث تحصل له الملكة اللسانية التي تتيح له التعبير عن مقاصده .

إن اكتساب اللغة بالترعرع في البيئة واقعي جدا وقد يعبر عنه في اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات بالحمام اللغوي" bain linguistique" أو الانغماس اللغوي وهو المصطلح المقابل الذي يراه الأستاذ الحاج صالح [5]مناسبا لأننا نرى مصطلح الانغماس اللغوي أكثر تأدية وأبلغ في الإفادة. ويعد الانغماس اللغوي عاملا مهما في اكتساب الملكة التبليغية وتمكين المتعلم من ممارسة اللغة ممارسة حقيقية ، وأعظم شيء أثبته العلماء أن تطور الملكة اللغوية يتم في بيئتها اللغوية ن فلا يسمع المتكلم إلا اللغة التي هو بصدد تعلمها فلا بد أن يعيشها وحدها وأن ينغمس في بحر أصواتها لمدة كافية .

لغة التلفزة و تأثيرها في الاستعمال اللغوي : إن الإنسان في عصرنا هذا أصبح نتاجا لتأثير وسائل الإعلام و تأتي في المقدمة التلفزة ؛ بل نذهب أبعد من ذلك ونقول أنه أصبح العالم أسير التلفزة المؤثرة ، و لم يعد في مقدور الإنسان الاستغناء أو الهروب أو العزلة عن هذه الوسيلة فكثيرا من الناس يستيقظ و ينام على ما تبثه التلفزة ، و يمضي الصغار وقتا طويلا أمامها مقارنة بأنشطتهم الأخرى كاللعب و الدراسة ، و ربات المنازل و أزواجهم و أبنائهم يقضون أطول الأوقات مسترخين أمامها ... و هذا ما يؤكد فاعلية التلفزة كوسيلة مهمة في العملية الاتصالية ، و من تم قدرته على التأثير بما يقدر من خلاله في المشاهدين و إن كان ذلك بدرجات متفاوتة[6].

لقد دلت الإحصائيات التي أجريت في بلدان مختلفة على أن شعوب العالم تستخدم التلفزيون بشكل أساسي و دائم ، بل أنه أصبح عادة من عادات الأسر ، ففي أمريكا مثلا دلت الدراسات الإحصائية على أن جهاز التلفزة يبقى مفتوحا أغلب الساعات في اليوم الواحد[7].

إن العديد من الخبراء يرون " أن تأثير التلفزة على الحياة قد تجاوزت في فاعليتها على ما عرفته الحضارة لمساهمتها الفاعلة في نشر الثقافة و تعميم المعرفة وتبادل المعلومات و الخبرات بين شتى البيئات كوسيط سمعي و بصري تجاوز حدود الزمان و المكان [8]و إذا

كانت التلفزة اليوم تحتل مرتبة هامة في المجتمع بسبب مميزاتها و خصائصها و وظائفها و انتشارها ، و اختراقها جميع مجالات الحياة اليومية بمختلف أنواعها تقريبا و تستحوذ على جزء كبير من أوقات فراغ الناس ، و لو أن الأمر يختلف من مجتمع إلى آخر و التباين فيما بين الأفراد وارد، لكن على العموم يقضي الناس عددا معتبرا من الساعات في مشاهدة التلفزة " و بسبب هذا الوجود الكلي لوسائل الإعلام بصفة عامة و التلفزة على وجه الخصوص ، و قدرتها على نشر محتويات ثرية و متنوعة أصبح الكثير من الناس منشغلين بها و بالتأثيرات التي يمكن أن تحدثها على عقول الأفراد و ألسنتهم ووجدانهم و سلوكياتهم و بصفة خاصة على الشرائح الأقل سنا أي الأطفال و المراهقين و الشباب ، و عليه فإن قوة التلفزة و تأثيرها أدى إلى القيام بدراسات يصعب عدها في مجالات متنوعة ثقافية وسياسية واقتصادية وغيرها .. و لكن معظم هذه الدراسات ركزت على التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام" [9] .

إن وسائل الإعلام لم تترك العديد من المؤسسات الاجتماعية على الحياد بشأن التلفزيون ، و أصبح القلق الذي تبديه شرائح واسعة من المجتمع الجزائري و العربي بخصوص مضمون البرامج في التلفزة أمر واضح للعيان [10] . وظهر انشغال المجتمع بتأثيرات التلفزة مما أدى إلى ظهور ردود أفعال كبيرة على غرار الأسرة التي أصبحت تتنافس مع وسائل الإعلام من أجل كسب ولاء الأطفال ، و أظهرت قلقا عبر عنه أحد الباحثين بقوله : " إن الأولياء الجدد هم وسائل الإعلام " [11] وبالرغم من ندرة البحوث الميدانية فإن الواقع يؤكد ارتفاع متوسط كثافة مشاهدة الشباب للتلفزة حيث أكدت بعض الدراسات أن الطفل يشاهد ما يقارب ثلاث (3) ساعات ، أي يقضي أمام التلفزة سنويا ما يقارب 500 ساعة ، في حين لا يقضي على مقاعد الدراسة سنويا سوى 855 ساعة الأمر الذي يؤكد حضور التلفزة في حياة الطفل[12].

إن الاهتمام بوسائل الإعلام و الاتصال جعل العديد من العلماء و الباحثين ينظرون في حقيقة قوة وسائل الإعلام و الاتصال كعوامل مؤثرة في سلوك و مواقف و معارف و لغة الأفراد و الجماعات و المجتمع بصفة عامة ، وكانت نتائج هذه الأبحاث الكثيرة تختلف بشكل لافت للنظر في الغرب .

أما البحث في تأثير وسائل الإعلام في بلداننا العربية فهي لا تزال متعثرة إلى حد بعيد ، وهذا بالنظر أولا إلى تأخر دخول هذه الوسائل إلى دولنا من جهة واستخدامها في التنمية من جهة أخرى و تأثير وسائل الإعلام الأجنبية على مجتمعاتنا من جهات متعددة ، كما أن الدراسات الموجودة لا تزال تعتمد النظريات الأمريكية خاصة ، و بالرغم من الاعتقاد السائد في قوة وسائل الإعلام وفعاليتها غير أن تأثيراتها مازالت غير مفهومة بصفة لائقة ، ومازال الجدل قائما بشأنها ، ولا توجد نظرية واحدة تفسر كل التأثيرات و هذا يؤكده james curran بقوله " الاعتقاد بأن وسائل الإعلام هي أجهزة تأثير هامة هو صحيح على العموم لكن الطرق التي تمارس بها وسائل الإعلام التأثير معقدة و مشروطة " [13] .

و لا شك أن البحث في تأثير التلفزة و لغتها الإعلامية على الاستعمال الفردي و الجماعي من هذا القبيل فلا شك أن تأثير التلفزة على اللغة موجود ، و لكن سبل التأثير و الكيفية لا تزال غامضة.

إن إصلاح اللسان (في الإذاعة والتلفزيون) في كل مجتمع وكل زمان ، أمر جدير بالاهتمام المركز ، لا تقدم عليه إلا سلطة واثقة من شرعيتها ، مرتاحة على مستقبلها ، وحتى في ظل السلطة يبقى في الأمر قدر كبير من المخاطر يدعو إلى التفكير والرؤية ذلك أن الإذاعة والتلفزيون هي البديل الحقيقي للمناخ اللغوي المتحرك الذي يستقي منه افرد المجتمع اللغة كما كان عليه العربي في العصور القديمة، ذلك أن اللغة بالضرورة مكتسبة من البيئة ، وغيابها يؤدي حتما إلى غياب اللسان الصحيح.

3- ضرورة اصطناع المناخ اللغوي(الإعلام كبديل):

إن واقع اللغة اليوم يدعونا إلى البحث والتفكير ...فالمتعلم العربي اليوم ، ناهيك عن العامة من الناس " لا يملك المناخ اللغوي الصافي ، والمشرب العذب المتاح ، الذي كان ميسورا لأجيال العرب قبل تسرب اللّكنة .وحدوث الخلط والاضطراب في اللسان العربي ، بل العكس هو الصحيح "[14]. فنجد على سبيل المثال في اللغة الإعلامية تحديات وعراقيل لاكتساب اللغة الفصيحة ، ذلك أن انتشار العاميات ، أدى إلى اختلاف الملكات ،فصارت اللغة المكتسبة الأم هي العامية و صارت المكلة اللسانية الأساسية هي المكلة اللغوية العامية ، فالعربي اليوم يحيط به من كل جانب ما يدفعه دفعا عن صحة اللغة و جمالها اجتماعيا وثقافيا ، و لم يعد في متناوله ذلك المناخ الطبع الأصيل ، الذي يلقنه له المجتمع ، فيحاكيه و يحتديه دون تعمّد!.

وقد تبين لنا فيما سبق أن البيئة لها تأثير كبير في اكتساب اللغة باعتبارها جزءا من النظام الاجتماعي .. وإذا نظرنا إلى اللهجات في البيئة العربية ، فإن نطقها والحذق فيها لا يسبب لنا أي عائق ، والإعلامي يريد إيصال الفكرة بأقرب طريق وأقصر وقت فهو يستعمل اللغة الاقتصادية ..ثم إذا نظرنا في المستويات اللغوية وتدرجها من الصوت إلى الصرف إلى التركيب ... إلى المستوى الدلالي ، وكيفية اكتسابها في لهجة ما ن في شرق الجزائر –مثلا– أو غربها أو جنوبها ، فإننا نتأكد أن أي فرد من هذه المناطق لا يجد صعوبة في نطقها . ولا يحتاج إلى جهد أو دراسة لفهمها ، والأمر نفسه في لهجات العالم من أقصاه إلى أقصاه ، و السبب في ذلك تكرر سماع اللهجات على الآذان حتى صارت صفة راسخة وعادة شبيهة بالطبع. ينطقها أهلها طبيعيا دون معاناة.لكن الأمر يختلف بالنسبة للعربية الفصيحة ، فليس لدينا جوا لغوياً فصيحاً متحركاً ، و حتى الممثل الرسمي له (وسائل الإعلام) لا يحققه واقعياً.

و التعلم وحده لا يكفي لتلقين اللّغة ، ثم إن المناهج الدراسية وطرق التدريس لا تخضع للمعايير العلمية، بل ربما قد تكون من جملة العراقيل التي تعيق اكتساب اللغة ولإحداث جو لغوي متحرك.

ولهذا نرى أنه انتهى العهد الذي كانت فيه الملكة اللسانية طبعاً[15] و سليقة ولهذا لابد من اصطناع المناخ اللغوي اصطناعا متعمدا واتخاذ الوسائل التي توصل إلى إجادة الملكة اللسانية.

إن العربي على امتداد الرقعة الجغرافية العربة لا يكتسب اللغة العربية في مرحلة الاكتساب اللغوي الأول ، وإنما يكتسب لهجته المحلية ن فابن الجزائر يكتسب لهجة الجزائر مع اختلافاتها الاجتماعية و الزمنية والمكانية والعرقية ، فلهجة وهران غير لهجة ورقلة ، وهذه الأخيرة غير لهجة الجزائر ولا لهجة قسنطينة وهكذا...

فعلى امتداد الوطن العربي الكبير، نلاحظ أن اللغة الأولى التي يكتسبها الأبناء ليست هي اللغة العربية الفصيحة ، وإنما هي اللهجة المحلية لكل بلد من البلدان العربية ؛ بل قد تعددت اللهجات في البلد الواحد ، و بالتالي فاللغة التي نعلمها للطفل في المدرسة ليست هي اللغة الأولى، ولكنها الثانية في الترتيب الزمني ثم إن اللغة الفصيحة لا يتم اكتسابها إلا في بيئة تعليمية منظمة، فاللغة المكتسبة في المرحلة الأولى هي مزيج من عناصر لغوية من اللغة العربية وعناصر لغوية أخرى ، هذه اللغة المختلطة أو اللهجة– كما يسميها البعض– تختلف أو تبتعد عن اللغة العربية الأم قليلا أو كثيرا، وفق نسبة العناصر اللغوية العربية إلى العناصر اللغوية غير العربية في اللهجة الواحدة.

اللغة والكلام في وسائل الإعلام:

اللغة ظاهرة اجتماعية واستخدامها الحقيقي لا يتم إلا بين الفرد والآخرين ، وقد اهتمت اللسانيات ببيان العلاقة بين اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وكونها نظام من العلاقات الدالة يمكن أن يستخدم كوسيلة اتصال، وكونها نسق من الرموز الصوتية التي شاعت وانتشرت بوسائل شتى ليتعامل بها الأفراد من جهة واستخدام الأفراد لهذه اللغة (النظام)، وما ثنائية اللغة والكلام عند ديسوسور إلا منطلقا معرفيا لذلك .

" فاللغة غير الكلام فهي شيء غير ملموس ، إنها معرفة نظام اتصال خلاق " [16]، وإذا كانت اللغة غير الكلام فما هو الكلام؟ وبعبارة أخرى ما هو الاستعمال للّغة أو الأداء الفردي للّغة ، و هو المسموع من التلفزة ؟.

الكلام . الاستعمال . الأداء :

قد تستعمل لفظة (كلام) على نحو المجاز فيقال : كلام الحيوانات أو كلام النحل أو كلام الأزهار أو كلام العيون ، على غرار ما نقوله في اللغة (لغة العيون ، لغة الطير ..) وهي تعني الاتصال " فالكلام مجرد وسيلة من وسائل الاتصال ، نعم ، لكن للإنسان عدة وسائل للاتصال ، فهو يؤشر للآخرين بواسطة الأعلام الملونة ، ومن خلال رمز " المورس " ، ورفع حواجب عينيه ، وكتابة عمود في جريدة ، ومن خلال الغناء ، ومن خلال وضع الأيدي فوق الورك، وخلف الأيمان ورسم صورة ، ومن خلال الخجل والوجل واحمرار الخدين ، ومن خلال البث الإذاعي و التلفزي .. وكذلك التكلم " [17] .

أما الكلام عند العرب القدامى فهو يدخل في علم التراكيب " لقد ميز علماء النحو القدامى بين نوعين اثنين من التراكيب العربية:

الأول : يدعى الكلام وقد عنوا به الكلام التام والمفيد والمستقل بنفسه ، والذي هو الشكل النحوي والدلالي للغة .

الثاني : يدعى الجملة وهو العبارة اللغوية المنطوقة والتي يمكن أن تدل على معنى، وتكون بذلك كلاما ، ويمكن ألا تكون كذلك[18].

والبحث في الكلام والجملة واللفظ والقول هو مدخل عند علماء النحو القدامى لكتبهم النحوية ، فالكلام عند القدامى نال قسطا كبيرا من البحث ؛ بل إن غالبية النحويين يبتدئون به مباحثهم على غرار ما قام به ابن جني في الخصائص ، فأول ما بدأ به

" باب القول على الفصل بين الكلام والقول " ، وسيبويه في قوله " هذا باب علم ما الكلم من العربية ؟" وابن هشام في قوله " باب شرح الكلام " وغيرهم كثير .[19]

غير أن كلمة الكلام في مصطلحات اللسانيات تشير إلى " القدرة لدى الناس على التفاهم عن طريق علامات صوتية "[20].

فإذا كانت اللغة في الأصل " تلك الأصوات التي ترتبت وفق نظام صرفي خاص والوحدات الصوتية التي تترتب في أنماط محددة فتكون الكلمات وتكون الكلام ، وبذلك فالكلام هو النشاط الذي تتحول فيه تلك الرموز المذكورة بجميع أشكالها إلى حقيقة مادية فاعلة " [21]، إذن الكلام هو المادة التي تتكون منها اللغة ، وهي الوسيلة التي تحيا بها اللغة "[22].

لقد اكتسب الكلام عدة تعريفات أو أوصاف تبعا لماهيته في الواقع " فإذا قلنا : إن الكلام هو حدث خاص بالفرد لأننا عندما نتكلم فالمتكلم مسؤول عن كلامه ، فإذا لحن فهو صاحب اللحن ، وإذا تكلم بالفصحى فهو صاحب الفصحى " [23]فهذا يقودنا حتما إلى أن ما نسمعه في الإعلام هو كلام وهو عين ما ينبغي دراسته وتشريحه لسانيا بالتصنيف والوصف والإحصاء .

لقد انتشرت التفرقة بين اللغة Langue والكلام Parole مع اللساني السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857. 1913) " إن النظرية التي وضعها وجردها سوسور تشتمل على عدد من المبادئ والاعتبارات العامة استخرجها من مشاهدته وتحليلاته لظاهرة التخاطب اللغوي وأداته التي هي اللسان ، والنظر في تلك الأداة وعناصرها وتركيبها "[24]، ويضيف عبد الرحمن الحاج صالح وهو يتحدث عن علم اللسان الحديث وتاريخه ومكانة سوسور في هذا المجال أن هذا الأخير تمكن من " تمييزه الصريح . وكيفية احتجاجه لهذا التمييز. بين اللسان [25](Langue) (أو مجموعة منتظمة من الرموز) تصطلح عليه الجماعة ويشترك في استعماله جميع أفرادها وبين الكلام (Parole) كتأدية فردية للسان وخروجه بعد ذلك إلى الحكم بأن اللسان بهذا المعنى أي بما هو قدر مشترك هو صورة (Forme) وليس بمادة (Substance) [26]وهنا يتبين لنا أن مكانة الكلام عند سوسور صارت لها أهمية في الدراسات اللسانية ، ولهذا نجد عبد الرحمن الحاج صالح ينقل عن سوسور أهم الأفكار اللسانية فيقول سوسور:" فجانب التأدية لا دخل له لأن التأدية ليست أبدا من عمل الجماعة ، بل من عمل الفرد دائما ، والفرد دائما صاحب أمرها ، وهي التي نسميها (Parole) (الكلام كفعل من أفعال الفرد)[27].

وهذا يتحقق جليا في كلام المذيع في التلفزة فغالبا ما تكون الدراسات منصبة على الجانب الوصفي أو المعياري أو التخطئة والصواب للكلام المذاع . والحقيقة أن ذلك هو ميزة خاصة بفرد بعينه ما لم تسري في الجماعة ، بينما اللسان (اللغة) حسب سوسور هو رصيد (tresor) يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد بفضل مباشرتهم للكلام، وهو نظام نحوي يوجد وجودا (تقديريا) في كل دماغ أو على الأصح في أدمغة المجموع من الأشخاص، لأن اللسان لا يوجد كله عند أحد منهم بل وجوده بالتمام لا يحصل إلا عند الجماعة " ويضيف " وبفصلنا اللسان عن الكلام ، نفصل في الوقت نفسه ما هو اجتماعي عما هو فردي ، ما هو جوهري عما هو إضافي أو عرضي في بعض الأحيان[28].

هكذا يتبين لنا أن الكلام غير اللسان حسب سوسور فالنشاط اللغوي ذو مظهرين: أحدهما ذهني والآخر واقعي[29] .

1 . المظهر الذهني : هو تلك الصور الذهنية التي توجد في عقل الجماعة اللغوية ، وهو ما يسمى باللغة ، وهذه الصور الذهنية ذات جانبين :

أ . جانب تصور الأصوات المعنية بترتيبها المعني أي جانب تصور اللفظ بأصواته وهيئته .

ب . جانب تصور ارتباط هذه الأصوات المرتبة ترتيبا معينا " إن اللسان نظام (systeme) ترتبط فيه جميع أجزائه بعضها ببعض "[30].

2 . المظهر الواقعي : هو الأصوات أو نظام الرموز الذي يتكلم به فعلا ، وذلك ما يسمى بالكلام ، أكثر من ذلك فإن سوسور ميز بين ثلاث مصطلحات وبقي يرددها بوضوح [31]وهي :

الأول : هو (Le langage) ويقصد من ورائه الحديث عن اللغة كظاهرة إنسانية منتمية إلى الوجود الاجتماعي ، وذلك أثر من آثار الاتجاه الاجتماعي الذي شقه أستاذه " أميل دوركايم " رائد علم الاجتماع .

الثاني : هو (La langue) ويريد به اللغة المعينة أو اللسان المعين الذي رغم ارتباطه بالاجتماع يختلف من مجتمع إلى آخر .

الثالث : هو (Le parole) ويريد به الكلام أو الحديث وهو الجانب الذاتي الذي يتميز به كل مستخدم للسان جماعته .

لا شك أن دراسة اللغة الإعلامية و الكلام المذاع إعلاميا بهذا التقسيم مهم للغاية نظرا للتأثير الواضح الذاتي و المتعدي ، وهذه الأفكار أثرت في العديد من اللسانيين منهم فندريس الذي يرى أن اللغة ذات ثلاث مستويات : مستوى منطقي (Languageُ) ومستوى الفاعلية (Langue) ومستوى انفعالي (Parole) . وقد تعقب جسبرسن هذا الرأي[32] بأن الصور الذهنية لا توجد إلا في ذهن الفرد ، وأن لغة الجماعة ليست صورا ذهنية موجودة في شيء اسمه العقل الجماعي ، بل هي مجرد أمر اعتباري يتمثل في الصورة الذهنية المشتركة بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ، ومن ثم قرر وجود لغة للفرد ، ولغة للجماعة . وهذا ما يدعونا إلى البحث في الكلام المذاع في التلفزة فهو كلام فرد وكلام مجتمع في ذات الوقت ، فإذا تكلم فرد واحد بعبارة ما مرة واحدة فذلك ما يسمى بالحدث اللغوي ، ومن مجموع تلك الأحداث اللغوية يكون الكلام ، فالكلام عند جيسبرسن مجموعة من الأحداث اللغوية لدى جماعة من الجماعات ... لذا يرى أن يقسم المسألة لا إلى كلام ولغة كما فعل دي سوسور ، بل إلى لغة فردية ولغة جماعية.

بينما يرى سوسور أنه " ليس اللسان من وظائف المتكلم ، بل هو أثر يسجله الفرد بكيفية سلبية .. بخلاف الكلام فإنه عمل الفرد بتعمده و بتبصر فيه "[33].

ومن هذه العبارة الأخيرة لسوسور استفاد تشومسكي[34] فهو يفرق بين اللغة والكلام تفريقا أجلى مما عند دي سوسور ، فهو يرى أن الفرد مهما أوتي من المهارة اللغوية والقدرة اللسانية لا يستخدم كل إمكانيات لغته من أصوات أو مفردات أو جمل ، كما لا يمكنه أن يحيط علما بدلالات ألفاظها وإن كان في الوقت ذاته أن يفهم الآخرين ، وأن يكون جملا جديدة لم يستخدمها من

قبل ، ولكنها ممكنة في إطار البنية اللغوية الكامنة عند أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ، فهناك فرق واضح بين " الأداء اللغوي " و " التمكن اللغوي " لدى الفرد عضو الجماعة اللغوية[35].

يركز تشومسكي في مجمل أبحاثه على الظاهرة التالية ، أن كل إنسان ترعرع في بيئة معينة قادر في كل لحظة أن ينتج عددا غير متناه من الجمل كما أن يتفهمه[36].

ومن هنا يتبين لنا أن ما يعنيه دي سوسور بالكلام ، هو ما يعنيه تشومسكي بالأداء اللغوي ، وأن ما يعنيه دي سوسور باللغة هو ما يعنيه تشومسكي بالتمكن اللغوي (أو القدرة اللغوية) ، وهو الكامن في عقل الجماعة اللغوية[37].

إن الدراسات اللسانية تعتمد أكثر ما تعتمد في دراستها على هذا الفارق بين اللسان والكلام ، أي ما يسميه العرب الوضع والاستعمال ، فكل منا يؤدي بحسب شخصيته ، فكل ما يرجع إلى الأداء فهو جزئي ويقابله الكلي .

إن ما تسمعه من التلفزة أثناء المشاهدة لا يعدو أن يكون كلاما و يتبين من دراسة مواصفات اللغة الإعلامية المسموعة في التلفزة بمستوياتها المختلفة أنها تأديات للغة، و و بعيدا عن المعيارية فإن اللغة الإعلامية تغيرت كثيرا في المستوى الصرفي والتركيبي و المعجمي و الدلالي و الأسلوبي . " إن الأطفال العاديين جميعا يتعلمون الكلام ويطورونه من خلال سماع كلام الآخرين " [38] ، فهذا يؤدي بنا إلى أن " الكلام شيء سماعي"[39] ، انطلاقا من كون اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [40] ، وبناء عليه " فالكلام صوت مليء بالمعنى ممتد على محور الزمن " [41]، وإذا عرفنا أن اللغة نظام لا يخرج عن الترتيب الذي وضع عليه مثلما مثل له دي سوسور بلعبة الشطرنج فإن " الكلام هو إحدى الطرائق التي تستخدم فيها هذه اللغة "[42] ، كما أنه " هو الذي يحول اللغة إلى صوت " [43]، إذن فاللغة غير الكلام ، فاللغة شيء غير ملموس ، إنها معرفة نظام اتصال خلاق "[44].

وتظهر جدوى التفرقة بين اللغة والكلام في مجال بحثنا ، أن ما نتناوله في اللغة الإعلامية هو في حقيقته الكلام وهو مادة البحث ، إذ لا يمكن أن تكون اللغة وهي شيء معنوي بحت مجالا لذلك لكنا مع ذلك نقول : البحث اللغوي ، علم اللغة ، واللغة الإعلامية ، ولا نقول البحث الكلامي ، ولا علم الكلام والكلام الإعلامي ، أو على افتراض أن الكلام هو الصورة المادية للغة فكأنه هو اللغة [45]، ثم إن البحث في الكلام المسموع في التلفزة أو بتعبير أدق اللغة الإعلامية بمختلف مستوياتها من المسائل اللغوية المهمة التي تحافظ على اللغة ككيان ، أو بتعبير أعم إن الكلام هو السبيل إلى التغيير اللغوي الذي يبدأ عند فرد من أفراد البيئة اللغوية، وهو في بحثنا فرد معنوي فهو في حقيقته جماعة إعلامية ، ثم لا يلبث أن يقابل بالقبول ، ويشيع وينتشر ، ويصبح بمضي الوقت عرفا لغويا سائدا ، وحينذاك يصير تعبيرا لغويا على المستوى الاجتماعي . و هذا ما يظهر في التطور اللغوي .

نجد دراسات كثيرة اهتمت بالعلاقة التبادلية بين اللغة ووسائل الإعلام ، والمتتبع لها يجد أن الباحثين والنقاد اتفقوا على أن لوسائل الإعلام تأثير وقوة على اللغة " لها سلطة عظمى يتقرر بموجبها مصير اللغة إيجابا أوسلبا ، فكما يمكن لها أن ترفع من شأنها ، يمكنها أيضا أن تدفعها إلى الهاوية من جهة أخرى " [46]

. واقع اللغة العربية و دور اللغة الإعلامية في تحقيق الأمن اللغوي : يحسن أن ننطلق من الحقيقة التي لا جدال فيها ، و هي أن واقع الكلمة العربية هو في حقيقته العميقة واقع الأمة العربية ، فإذا صح صحت و إذا ساء ساءت ، و بينهما علاقة التأثر

و التأثير التي تنتظم مفردات الكون كلها في سلسلتها ، فحين يكون الأداء في مجالات الحياة كلها ضعيفا مختلا فكيف يصح أن يكون الأداء في المجال اللغوي الذي يختزن حقائقها سليما معافى ؟ [47]

تعيش اللغة العربية اليوم ، التقهقر والضعف في جميع المجالات ، مما جعلها مغايرة للفصيحة فاللغة العربية اليوم تعاني من أكبر عامل لموت اللغات ألا وهو عدم استعمالها في التخاطب اليومي وانحصارها في الدواوين لا غير ، وهذا ما دفع محمد فريد أبو حديد [48] " أن يبين أن اللغة العربية الفصحى اقتصرت على الدراسة فقط دون الحياة " [49] . " ومن المعلوم أن الدراسة التي تفصل بين اللغة والحياة دراسة جافة قد تؤدي إلى موت اللغة " [50] يقول . عز وجل . : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون " [51] ، وإن اللغة العربية هي لغة إسلامية ، وهي لغة كل مسلم وكل من دخل في دين الله يحسن به أن يعرف اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ولغة أشرف الخلق وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، ليتمكن من المعرفة المباشرة لمنابع دينه الخالد ويتمكن كذلك من إيجاد التفاهم والتقارب الفكري مع إخوانه في كل مكان " [52] .

فمن هذا المنطلق يجب أن يحرص عليها كل مسلم ويحافظ عليها ، لاسيما من هو في مجال الإعلام والاتصال ، فالمحافظة على هذه اللغة مما رغب فيه الشارع الحكيم ، و يشهد التاريخ أن المسلمين حافظوا عليها لمحافظتهم على القرآن . كما أقرت الدراسات التاريخية المعمقة بأن اللغة العربية حوربت فيما مضى كما تحارب اليوم على الرغم من اختلاف طبيعة هذه الحرب عن تلك .

وحالة العربية اليوم مؤسفة ، فرغم الجهود العديدة المبذولة في الميدان اللغوي من حصر للمشاكل اللغوية والعراقيل الدراسية، وتذليل القواعد وعلوم اللغة ، والبحث في مسائل الاستعمال اللغوي ، وصواب التعبير ، وتأسيس المجالس العلمية في العديد من الدول العربية حيث عملت هذه الأخيرة على بذل مجهودات هامة من أجل وضع المصطلح العلمي تيسيرا على الطالب والباحث في هذا الميدان ..[53] وتأليف المعاجم اللغوية الأدبية والعلمية وتوسيع الألفاظ لما أنتجته الحضارة الحديثة ، وغيرها من المجهودات للحفاظ على اللغة العربية إلا أننا لا نفشي سرا إذا وصفناه بوصف جامع يتفق عليه العلماء والباحثون العرب في العصر الحديث والمعاصر قائلين : " إن العربية الفصحى في المجتمع العربي في حالة يرثى لها ، منذ . تقريبا . انحطاط الحضارة العربية الإسلامية ، فلا هي موجودة في الميدان العلمي ، ولا هي كذلك موجودة في التخاطب اليومي "[54] .

وهذا الواقع لا يمكن أن يستقل عن الواقع العربي بصفة عامة " فالحياة العربية الراهنة كالثقافة العربية الراهنة . كاللغة العربية الراهنة . التي هي تعبير عنها وجزء منها في آن مأزومة "[55]... هذه الكلمة أدق وصف لواقع العربية .

عوامل عدة تضافرت لتصير العربية إلى هذا الواقع المحتوم ، فكل شيء من حولنا يتحرك بسرعة ذرية ، حتى عقولنا ومفاهيمنا تعيش في دوامة لا تعرف قرارا ، وطبيعي أن مثل هذا الوضع من شأنه أن يصرف همنا عن النظر في الواقع ، ناهيك عن تشريح الماضي . " وهكذا وجدنا أنفسنا فجأة ! وبالنسبة إلى لغتنا أمام مأساة ، ليس فقط في المدرسة بل في كل مكان وفي كل شيء ... "[56] .

إن واقع العربية (المأساة) مؤسف إلى حد الإبكاء ، أقطار كاملة من أفلاك العربية لا تكاد تسمع فيها العربية على الإطلاق ، فقد أسلمت قيادتها إلى عدة لهجات محلية طاغية ، في البيت والشارع ووسائل الإعلام .. وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد " إن العدوى انتقلت إلى المعلمين في المدارس والأساتذة في الجامعات " [57]، بل الأمر أخطر من ذلك " فإن منابر الجمعة . والتي هي

إحدى وسائل الإعلام في المجتمعات المسلمة . والتي شيب صعودها بعض خلفاء هذه الأمة في الماضي ، صارت سقطاتها البقاء أكثر من أن تحصى، حتى في نصوص القرآن والسنة أحيانا"[58] .

وهنا يحس المرء . حقيقة . أن اللغة العربية في أزمة واقعية ، وهي ليست بحاجة إلى الاهتمام بتعليمها وممارستها في كل شؤون الحياة فقط ، بل هي في حاجة إلى الحب أولا ، فينبغي أن يحب حامل اللغة العربية لغته قبل استعمالها ، وأن يقتنع بمرونتها ، وضرورة إعادتها إلى التداول بعد ذلك ، لاسيما من هم في حقل الإعلام والاتصال .

تأثير لغة التلفزة على المستوى الصوتي :

كثيرا ما يتناول علماء اللسانيات التطبيقية الجانب التقابلي وهو يقوم على المقابلة بين اللغة العربية ولغة أخرى في الجانب الصوتي مثلا ، وقد يكون في مستويات لغوية للغة العربية ذاتها ، ففي الجزائر مثلا تتعدد المستويات اللغوية كما تتعدد اللهجات وهذا دفع العديد من اللسانيين إلى البحث في هذا الجانب [59] .

ولما كانت لغة التلفزة بمستوياها المختلفة لها تأثير واسع في الاستعمال اللغوي فإن الجانب الصوتي تغير كثيرا فيما نسمعه في لغة الإعلام وأقصد بذلك التغير " ذلك التوليد الذي يهتم بالمولدات الناتجة عن ظواهر صوتية في العربية الحديثة باعتبار الأصوات وحدات تمييزية يمكن أن تولد دوال جديدة ، وهذه المولدات تنتج عن تغييرات تصيب الدال بسبب تأثر الأصوات ببعضها أثناء النطق بها في سلسلة من الأصوات وخاصة داخل الكلمة الواحدة ، ولا يقصد بذلك استحداث أصوات في الكلام لم يكن لها وجود قبل ذلك ، فالأصوات تمثل في كل اللغات نظاما مغلقا ، وإنما المقصود ما يطرأ عليها من تغيرات أثناء النطق بها " [60] .

ولقد ساهمت لغة التلفزة في التغير الصوتي بل إن العديد من اللغويين ذكروا مآخذ عدة على لغة التلفزة في الجانب الصوتي. " نعني بالمآخذ الصوتية والنطقية تلك التي لا تظهر في النص المكتوب وإنما يكشف عنها النطق الشفهي ، وتدركها أذن السامع ، ولذا فهي تتعلق بالإعلام المسموع وحده دون المكتوب "[61]. إن تأدية المذيع أو غيره ممن يظهر على شاشة التلفزة تكتنفها العديد من التغيرات الصوتية التي ستكون لها تأثير في استعمال الآخرين للغة .

ويدخل تحت الجانب الصوتي جوانب أخرى من مستويات أخرى فهناك[62]:

أ : ما يخص جانب الصوت والأداء .

ب . وهناك ما يخص جانب المعجم ، أو ضبط بنية الكلمة بالشكل وقد تدخل فيه بعض الانحرافات الصرفية[63].

ج . ما يخص جانب النحو أو الضبط الإعرابي [64] .

وقد تتبعت بعض هذه المآخذ الصوتية أي في جانب الأداء الصوتي في بعض مستويات لغة الإعلام في التلفزة وعلى الخصوص (الأخبار وبعض المقابلات التلفزية) ووجدت العديد من التغير الصوتي مقارنة بالفصيح .

وقد بينت سابقا أن لغة الإعلام لها تأثير واضح في المتلقي فهي قد تثبت الخطأ والصواب وقد تغير الخطأ وقد تحدث أداءات صوتية جديدة بعيدة كل البعد عن الملكة اللغوية الأصلية للمتكلم .

التغير الصوتي بين القدماء والمحدثين :

ربما يتبادر إلى الذهن أن لغة الإعلام هي التي أحدثت هذا التغير وإيجاد ألفاظ جديدة نابعة من التغير الصوتي ، والحقيقة غير ذلك تماما " فهذا المنزع في الدرس اللغوي قديم عند العرب، فقد اهتم القدامى بتطور الأصوات وتوصلوا إلى وصفها وصفا دقيقا لأن الأصوات تمثل أقوى الشروط اللغوية من أجل إجادة الكلام الفصيح ..

لقد لاحظ اللغويون العرب أن من " الانحرافات " الصوتية ما هو معترف به أكثر من غيره، وهو مع العادة والتكرار قد يتحول إلى الاستعمال المقبول " [65]، وهذه الدراسات القديمة ارتبطت باختلاط العرب بغيرهم بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية ولهذا " اهتم اللغوي العربي بتأثير التعامل بين الأصوات في توسيع رصيد العربية من الألفاظ وبلغ الأمر بابن جني أن أخضعه لضرب من التقليبات الافتراضية الشبيهة بتقليبات الخليل "[66]، فظاهرة التوليد في الأصوات قديم، وما يحدث اليوم في وسائل الإعلام من تداخل اللهجات واللغات في الجانب الصوتي مهم دراسته .

والأمر نفسه في العصر الحديث ، فقد تطورت الدراسات الصوتية في الغرب " فميزوا بين الأشكال الصوتية التي تمثل نظام اللّغة الصوتي ، والأشكال التي تظهرها العادات التركيبية عند نطق سلسلة متلاحقة من الأشكال الصوتية ، وهي تغييرات في الشكل الصوتي تختلف باختلاف ما يسبقه أو ما يليه من أصوات "[67].

فلاحظوا أن للعلاقات التعاملية بين الأصوات أثرا في إحداث التغير الصوتي ، وأن هذا الضرب من التغيير غالبا ما يكون ذا وظيفة تمييزية في الكلمة يؤدي في الواقع إلى ظهور وحدات معجمية جديدة في اللغة[68].

هناك العديد من اللغويين الغربيين الذين اهتموا بالتغير الصوتي ودوره في التغير اللغوي عامة [69]، وقد انتقلت العدوى إلى اللغويين العرب " غير أن دراسات المحدثين لم تزل في الغالب قائمة على ما وصفه القدامى من تغييرات صوتية بعضها يفسر على أنه من تباين اللهجات وبعضها الآخر يعالج على أساس مبدإ الإبدال فلا يخرجون بها عما حدد القدامى من مظاهر الإبدال في القديم[70].

والخلاصة أن التطور الصوتي نال اهتماما في القديم والحديث فهو ضرب من التطور اللغوي، وهو إحداث وحدات معجمية جديدة نتيجة ما يطرأ على المفردات من تطوير صوتي غالبا ما يكون عفويا وهو يكثر في مستوى اللغة الشفوي ، وقد نزل بعض الباحثين هذا النوع من التغير الصوتي منزلة من التوليد المعجمي ، وربطه بنظرية الفنولوجيا المعجمية التي ظهرت في اللسانيات الأمريكية الحديثة وأكد أنه ظاهرة عربية قديمة لم تحل جهود اللغويين الصفويين دون حدوثها[71].

واقع الأداء الصوتي في اللغة العربية في التلفزة :

نال موضوع الأداء في اللغة العربية قسطا وافرا من البحث [72]، وقد اهتم به اللغويون والمعجميون في كل المجالات بما فيها مجال وسائل الإعلام " كما أننا نلاحظ عند الغربيين أنهم يحرصون حرصا قويا على احترام لغاتهم في استعمالاتهم الخاصة "[72].

والمقصود بالأداء الصوتي هو المراد من معنى الأداء في اللغة فالأداء لغة من الفعل (أدي) وأداه أديا بمعنى قضاه ، وأدى الشيء بمعنى قام به ، والاسم الأداء ، يقال هو آدى للأمانة من غيره وتأدى الأمر بمعنى أنجز ، والأداء هو الإنجاز[73].

والأداء الصوتي هو التلفظ ونطق الكلمات نطقا صحيحا واستعمال اللغة استعمالا ناجحا.

وقد ساهمت اللغة الإعلامية في تغير هذا الأداء سلبا وإيجابا ويمكن أن نمثل لذلك بالاستخدام المعيب للوسائل الصوتية غير اللفظية[74].

أهم ما يلفت النظر في جانب الصوت والأداء افتقار كثير من المتحدثين إلى الثقافة الصوتية، وإلى التدريب الكافي على استخدام الإمكانيات الصوتية المتنوعة التي تدخل تحت ما يسمى بالوسائل الصوتية غير اللفظية أو الملامح النطقية غير التركيبية المصاحبة للعملية الكلامية والمشاركة لها في أداء الرسالة اللغوية والمستخدمة لتنويع نماذج الأصوات مثل النبر والتنغيم ودرجة الصوت ومعدل سرعته أو استمراريته ، ونوعيته ، ومدى ارتفاعه ، وطول الوقفة أو السكتة .

وتأتي أهمية هذه المفاتيح الصوتية من أنها تنتج نحو 38 % من الرسالة اللغوية ، كما أنها يمكن أن تكون ذات تأثير سلبي حين يساء استخدامها[75].

بعد تتبع العديد من نشرات الأخبار والمقابلات التلفزية في القنوات الجزائرية رصدت العديد من هذه التغيرات ولكن كلما أردت أن أصنف لقطة في هذا الجانب وجدت أنها قد تصنف في الجوانب الأخرى الصرفية أو النحوية (الإعرابية) ولكن ما يمكن رده إلى الجانب الصوتي الخالص لا يعدو أن يكون تغيرات لهجية ، وبالمقابل وحتى أكون أكثر دقة فالثراء اللغوي المعجمي يمكن إرجاعه إلى نوعين شكلي ودلالي والتغير الشكلي ينقسم إلى قسمين صوتي وصرفي ويقوم التوليد الصوتي على خمس قواعد : الإبدال ، التماثل ، التباين والقلب المكاني والإقحام [76]، فهذه العناصر قد تغير في الجانب المعجمي تغيرا كبيرا .

واستنادا إلى ما أورده أحمد مختار عمر ، وتتبع برامج الأخبار وبعض المقابلات التلفزية ، كما أسلفت ، يمكن أن أرصد بعض هذه المظاهر الأدائية :

1 .كثرة السكتات والوقفات الخاطئة من المذيع .

2 . الخطأ في تنغيم الجملة أثناء قراءتها فالجملة أثناء الاستمرار في نطقها لها تنغيم معين وعند انتهائها يصبح لها تنغيم آخر .. وهكذا ، والجملة التقريرية لها تنغيم والاستفهامية لها تنغيم ثان، والاحتمالية لها تنغيم ثالث و التوكيدية لها تنغيم رابع وهكذا .

وكثيرا ما يعطيك المذيع . عن طريق تنغيمه للجملة . انطباعا باستمرار الجملة ثم تفاجأ بانتهائها ، والانتقال إلى جملة جديدة ، وقد يحدث العكس أي أن يعطيك المذيع عن طريق تنغيمه إحساسا بانتهاء الجملة ثم تفاجأ بعدم انتهائها ، وكثيرا ما وجدت هذا عند المذيعين الجدد في القنوات الجديدة (الشروق . النهار والجزائرية ..) التي هبطت باللغة العربية إلى مستوى الحضيض بحجة الشعبوية والنزول إلى الجمهور .

3 . الخلط بين ال الشمسية وال القمرية .

4 . الخلط بين همزتي الوصل والقطع . ويرى أحمد مختار عمر [77]أن معظم الخطأ في همزة الوصل يظهر في لغة المتحدثين عند النطق بهمزة الوصل في درج الكلام بمعنى تحويلها إلى همزة قطع كما في الأمثلة الآتية: الإسم . مثال: بهذا الإسم و الصواب :الاسم ، إعتياديا:مثال يتكلم إعتياديا و الصواب : اعتياديا ، ألمحتلة :مثال في الضفة الغربية ألمحتلة و الصواب المحتلة ؛ إثنان :مثال وأصيب إثنان منها و الصواب اثنان ؛ الإثنين :مثال تبدأ يوم الإثنين و الصواب الاثنين ؛ ألأمة:مثال قضايا الأمة العربية و الصواب الأمةالإستقالة :مثال هذه الإستقالة لا معنى لها و الصواب الاستقالة.

5 . السبق البصري أو اللساني أو الذهني : نجد في المادة المقروءة في التقارير والأخبار هفوات لسانية صوتية بإبدال صوت مكان صوت مما قد يغير في المعنى ، وترجع إلى أسباب ثلاثة وهي السبق البصري مثل : و حتى (يعين / يحين) موعد .

والسبق اللساني مثل : وزير (الثورة / الثروة) السمكية .

والسبق الذهني مثل : إصدار عملة (عربية / أوروبية) موحدة .

6 . إدخال بعض الأصوات الحشوية أثناء النطق : ووجدت ذلك خاصة في الكلام المباشر أثناء التعليق على خبر أو في المقابلات التلفزية أو في المكالمات الهاتفية وغيرها من المواقف وفي الغالب يعود إلى ارتجال الكلام ويمكن إعطاء أمثلة : [إن حوار آآ الفلسطينيين آآ يرجع أساسا آآ ...] .

7 . التخلص بالسكون من حركة الإعراب : وهذه ظاهرة غالبة على لغة التلفزة وقد أثرت أيما تأثير على الاستعمال حيث انتقلت العدوى إلى المدارس وصار الإعراب وشكل آخر الكلمات من التنطع ، نستمع المذيع يقول مثلا: " اجتمعتْ الدولْ العربية اليومْ لدراسةْ قضيةْ سوريَا ".

فهذه جملة من الظواهر التي تعود إلى الأداء الصوتي والتي تؤثر في استعمال المذيع نفسه وكذلك المتلقي ، حيث تبعا للنظرية السلوكية فإن المستمع سرعان ما يكسب منوال ما يسمعه بالتكرار ، ويثبث الخطأ في ذهنه ليصير صوابا فيما بعد .

وقد تكون بعض هذه المظاهر غير وظيفية حيث لا تشكل خطرا على نظام اللغة وعلى البعض الآخر ساهم في التغير اللغوي بإيجاد وحدات معجمية جديدة ، وإن المتتبع للقنوات التلفزية في الجزائر مثلا خاصة الجديدة منها فإنه يندهش للثراء المعجمي الجديد المتأتي من الجانب الصوتي ، وهذا بتأثير اللهجات المختلفة في الجزائر شرقا وغربا " وهذا ما يؤكد أن الأصوات تعرف ما تعرفه أنظمة اللغة الأخرى من تطور على أن التغير الصوتي لا يعني استحداث أصوات في الكلام لم يكن لها وجود من قبل ولا كلمات جديدة تماما ، وإنما المقصود أن يستعمل عنصر من عناصر الكلمة الصوتية القديمة استعمالا يخالف مخرجه أو موقعه أو صفاته الأصلية بحثا عن المجهود الأدنى وكذلك الانسجام الصوتي ، وهو ما يغير شكل الكلمة فتظهر في اللغة وحدة معجمية جديدة[78].

لقد ساهمت لغة التلفزة في كثرة العديد من الألفاظ الدارجة أو الأجنبية بعد قولبتها في النظام الصوتي العربي ، وصارت هذه الألفاظ مستعملة عند جمهور وسائل الإعلام والإعلاميين أنفسهم مما دعا المجامع اللغوية إلى وضع هيئات خاصة تتابع الاستعمال

اللغوي في التلفزة وغيرها من وسائل الإعلام ، وترصد الجديد في هذا المجال ، واعتمدت العديد من الألفاظ الجارية على الألسن وأدخلتها في المعجم العربي الحديث .

إن هذا الموضوع جدير بالاهتمام ، فهو دعوة للسانيين للبحث في اللغة الإعلامية في إطار علم اللغة الإعلامي من جهة ، و للأساتذة و الطلبة قصد جعل مواضيع بحث في هذا الحقل المعرفي الهام .

الهوامش:

1مشال زكريا : الملكة اللسانية عند ابن خلدون دراسة ألسنية (لبنان : بيروت ، د . ت) :ص:64

2 ابن خلدون: المقدمة ، تحقيق : ضياء الدين رجب شهاب الدين (الشارقة : دار الفتح ، ط : 1 ،1995) ، ص: 767.

3 مشال زكريا : الملكة اللسانية عند ابن خلدون دراسة ألسنية، ص :65

4 كمال بشر ك اللغة العربي ة بين الوهم وسوء الفهم(القاهرة : دار غريب ، 1999م).صك99

5 د. عبد الرحمان لحاج صالح، علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، ص:04 وما بعدها ، وقد أوردنا هذا الكلام ليتضح لنا تأثير وسائل الإعلام باعتبارها الركن الأساسي في عملية الانغماس اللغوي فيما بعد.

6 عبد الرزاق محمد الديلمي ، عولمة التلفزيون ، ص: 20

7 المرجع نفسه ، ص : 24

8 المرجع نفسه ، ص : 27

9 James Halloran , mass media effects : asociological approach ; the audience unt 7,the open university , milton keymes , G B ; pp : 12 _ 41 نقلا عن عزي عبد الرحمان ، الإعلام و المجتمع ، ص : 326

10 في دراسة للدكتور أديب خضور بعنوان البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الأطفال تساءل الكاتب : لماذا تثير البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الأطفال هذا القلق ؟ و بعد عرض فرضيات مختصرة قال : يمكن تفسير قلق السوريين إزاء البرامج التلفزيونية الموجهة إلى أطفالهم بالأسباب التالية :

1 . لم يحدث إطلاقا أن ترك أي تطور جديد آخر تأثيرا في حياة الطفل السوري ، و بمثل هذه السرعة و الانتشار المباشر كما فعل التلفزيون .

2 . ارتفاع متوسط كثافة مشاهدة الطفل السوري للتلفزيون (قدم الأرقام)

3. انفرادية الطفل السوري أمام التلفزيون و انشغال الوالدين عنه .

4. الافتقار إلى الخيارات و الوسائل البديلة (نواد ، مجلات ، مسارح ...) و خاصة في الريف .

5. يشكل الأطفال و الشباب أكثر من 75%من المجتمع و يرتفع المستوى الثقافي و التعليمي لديهم باستمرار ، و تزداد بالتالي حاجاتهم الإعلامية و تتنوع مما يزداد حجم تأثير وسائل الإعلام عليهم .

ينظر : أديب خضور ، البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الأطفار ص : 5 . 8

11 peter golding : the mass media (london , longman , 3 ed , 1979) p : 7811 _ . نقلا عن عزي عبد الرحمان ص : 327

12 أديب خضور ، بتصرف شديد .

13 James curran , media and power (london, 2002, rontledge) p ; 158,

عبد الرحمان عزي ، الإعلام والمجتمع ، ص : 328 .

14 علي أحمد مدكور: تدريس فنون اللغة العربية ، ص: 345.

15 ليس المقصود من الطبع هنا الفطرة ، بل الملكة الأولى التي أخذت عند العرب ولم يأخذوها عن غيرهم.

16 . جلوريا . ج . بوردن ، د . كاثرين . س . هاريس ، أساسيات علم الكلام ، ترجمة : د . محي الدين حميدي (بيروت : دار الشرق العربي) ، ص : 16.

17 م . ن ، ص : 14 .

18 مازن الوعر ، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية (سورية : دمشق ، طلاس ، ط: 2 ، 1992) ، ص : 25 . 26 .

19 فابن جني مثلا في بداية كتابه يبين أن القول أعم من الكلام ، و أتى على تصاريفهما و اشتقاقاتهما مع تقلب حروفهما (قول ،كلم) ووجد أن معنى(قول) أين وجدت و كيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه إنما هو للخفوق والحركة ومن التقليبات الستة (ق . و . ل) وهو القول وذلك أن الفم واللسان يخفقان له و يقلقان ، وأما (ك . ل . م) فحيث تقلبت فمعناه الدلالة على القوة والشدة هذا لغة ، وهو أيضا " عبارة عن الألفاظ برؤوسها المستغنية عن غيرها ، وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها، والقول أوسع من الكلام تصرفا ، وكلام النحاة في هذا المجال كبير وواسع ، وتعريفاتهم في هذه المسألة مطولة ينظر : ابن جني ، الخصائص ،تحقيق : محمد علي النجار (بيروت : دار الهدى ، د . ت) ص : 5 . 33 ، وابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ص : 33 والكتاب لسيبويه ، ص : 12 .

20 أندريه مارتينيه ، مباديء ألسنية عامة ، ترجمة : ريمون رزق الله (بيروت : دار الحداثة ، 1990) ، ص: 11 .

21 محمد علي عبد الكريم الرديني ، فصول في علم اللغة العام (بيروت : عالم الكتب : 2002 ، ط : 1) ص: 23 ، نقلا عن ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة : ترجمة : د . كمال بشر ، ص : 31 .

22 م . ن، ص : 22 نقلا عن جسبرسن ، اللغة بين الفرد والمجتمع ، ترجمة : عبد الرحمن محمد أيوب (القاهرة: مكتبة الأنجلو ، 1994) ص : 19.

23 التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان ، (الجزائر : دار الوعي ، 2008) ص : 89 .

24 عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص : 154 .

25 أو اللغة بمعناها العام الذي رأيناه عند ابن جني .. ولفظة (Langue) بهذا المفهوم هو مجرد اصطلاح وضعه سوسور، وترجمتنا إياه باللسان أو اللغة هي ترجمة حرفية . ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، ص : 154 .

26 المرجع نفسه، ص : 154 . 155 .

27 المرجع نفسه ، ص : 159 .

28 عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص : 159 .

29 دي سوسور ، دروس في الألسنية العامة ، ترجمة : صالح القرمادي ، ص : 32 .

30 عبد الرحمن الحاج صالح ، ص : 155 .

31 التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان ، ص : 104 .

32 محمد بن عبد الكريم الرديني ، فصول في علم اللغة العام ، ص : 23 .

33 عبد الرحمن الحاج صالح ، ص : 160 .

34 المرجع نفسه، ص : 160 .

35 نعوم تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة ، ترجمة : حمزة بن قيلان المزيني ، و ميشال زكريا ، النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، ص : 62 .

36 ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،(لبنان : بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط : 1 ، 1981) ص : 98 ، ويطرح هنا ثلاث أسئلة :

1 . ما هي طبيعة الكفاية اللغوية التي تتيح للإنسان تعلم اللغة ؟

2 .كيف يستعمل المتكلم كفايته اللغوية هذه في الأداء الكلامي ؟

3 .كيف يتم اكتساب الكفاية هذه ؟

للجواب عن هذه الأسئلة ينبغي على الألسني أن يضع ثلاث نظريات :

1 . نظرية تتناول الكفاية اللغوية أو تنظيم القواعد الكامنة ضمنها ، وهذه النظرية هي ما يعرف عادة باسم قواعد اللغة .

2 . نظرية تبحث في الأداء الكلامي وتنقسم إلى نظريتين :

أ . نظرية الإرسال التي تختص بمتكلم اللغة .

ب . نظرية الالتقاط التي تختص بالمستمع .

3 . نظرية اكتساب اللغة التي تحدد ضمن الكفاية اللغوية الخاصة بالمتكلم ، ينظر : المرجع نفسه ، ص : 98 وما بعدها . و هذا ما ينبغي تطبيقه على اللغة الإعلامية .

37 محمد علي عبد الكريم الرديني ،فصول في علم اللغة العام ، ص: 25

38 جلورياج بوردن ، ص : 15 .

39 المرجع نفسه، ص : 15 .

40 ابن جني ، الخصائص ، ص : 33

41 المرجع نفسه، ص : 15 .

42 المرجع نفسه، ص : 15 .

43 المرجع نفسه، ص : 15 .

44 المرجع نفسه، ص : 16 .

45 المرجع نفسه، ص : 27 .

46 صالح بلعيد ، لغة الصحافة ، ص : 100 .

47 عبد الكريم الأشتر : مشكلة الأداء في اللغة العربية : أسباب الضعف و وسائل العلاج ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد خاص ، ج : 3 ، المجلد : 73، 1998م ، ص : 541

48 أحد أنصار الفصيحة ، إلا أنه له آراء جريئة فيما يخص موقف العامية من اللغة العربية الفصحى فهو يقول مثلا : " الفصيحة جامدة والعامية متطورة " ، ينظر: أبو حديد محمد فريد ، موقف اللغة العربية العامية من الفصيحة (القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج : 7 ، 1953 م)، سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية العربية (لبنان : طرابلس ، محطة جرس برس ، ط : 1 ، 1983م) ص : .36

49 حسين بن زروق ، النظريات العربية حول حصول ملكة اللغة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير (جامعة الجزائر : معهد اللغة والأدب، 1995م) ص : 36 .

50 محمد عبد الواحد حجازي ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية (الإسكندرية : دار الوفاء ، د . ط ، 1997م) ص : 7 .

51 سورة يوسف ، الآية : 2 .

52 فؤاد توفيق العاني ، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط : 1 ، 1997م) ص : 146.

53 صالح بلعيد ، المؤسسات العلمية العربية ووضع المصطلح العلمي (جامعة الجزائر : مجلة اللغة والأدب ، ع : 5 ، 1994م) ، ص: 236 .

54 حسين بن زروق ، النظريات العربية حول حصول ملكة اللغة ، ص : 115 .

55 وهبة أحمد رومية ، شعرنا القديم والنقد الحديث (الكويت : عالم المعرفة ، 1996م) ، ص : 21 .

56 محمد المحدوب ، مشكلات الجيل في ضوء الإسلام (المدينة المنورة : ط : 4 ، 1990م)، ص : 320 .

57 عبد الوارث مبروك سعيد ، اللسان العربي . الهوية ، الأزمة ، المخرج . (المنصورة : دار النشر للجامعات المصرية ، مكتبة الوفاء) ، ص : 146 .

58 ينظر : د . علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية (القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1997م) ، ص : 55 .

59 للبحث في هذا الموضوع ينظر : وليد العناتي ، اللسانيات التطبيقية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (الأردن : الجوهرة للنشر والتوزيع ، ط : 1 ، 2003 ، ص : 128 .

60 الحبيب النصراوي ، التوليد اللغوي ، ص : 269 .

61 أحمد مختار عمر : أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب الإذاعيين ، ص : 39 .

62 م . ن ، ص : 39 .

63 مثل ضبط حرف المضارعة ونوع همزة فعل الأمر وضبطها ، وضبط عين الفعل الثلاثي المجرد والخلط بين اسم الفاعل واسم المفعول وهمزتي الوصل والقطع .

64 مثل : أخطاء الضبط الإعرابي ، بعض أخطاء الاستثناء ، بعض أخطاء الممنوع من الصرف ، بعض أحكام العدد ، بعض أخطاء الجمع .

65 الحبيب النصراوي ، التوليد اللغوي في الصحافة العربية الحديثة (الأردن ، عالم الكتب الحديث،2010) ص : 269 .

66 ابن جني ، الخصائص ، ج : 2 ، ص : 133 .

67 - KIPARSKY (Paul) : Phonological change , in frederickj Newmeyer (ed) : l`inguistics , The Combridge University press , Combridge , 1988 , pp : 363 – 415 .

68الحبيب النصراوي ، التوليد اللغوي ، ص : 271 .

69 يمكن التمثيل لهؤلاء ب هيلمسلاف (Hilemslav) في كتاب اللغة (Le Langage) وغيلبار (Guilbert) في كتاب الإبداعية المعجمية (La creativite lexical) فقد خصص فصلا سماه التوليد الصوتي ، وكذلك كيلبارسكي (Kiparsky) في كتاب التغيير الصوتي (Phonological change) وقد أرجع التغييرات الصوتية إلى ثلاثة عوامل لغوية ونفسية واجتماعية وهي : 1 . طرق النطق ، 2 . طرق الاختصار ، 3 . طرق التصعيد ، ومن هذه العوامل تتولد الكلمة الجديدة بقواعد : الإدغام والحذف والتماثل والتباين ...

70 يمكن التمثيل بكتابين : كتاب " لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر ، وكتاب " الفصاحة والتطور اللغوي " لإبراهيم بن مراد .

71 الحبيب النصراوي ، التوليد اللغوي ، ص : 274 .

72 ينظر : مجمع اللغة العربية بدمشق ، ندوة اللغة العربية ، معالم الحاضر وآفاق المستقبل (من 26 . 29 / 10 / 1997).

73 محمد المختار ولد أباه ، ضعف الأداء في اللغة العربية أسبابه وعلاجه ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، عدد خاص، يوليو 1998 ، ج : 3 ، مج : 73 ، ص : 583 .

74 محمود أحمد السيد ، أسباب الضعف ووسائل العلاج ، مجلة مجمع اللغة العربية ، عدد خاص ، يوليو 1998 ، ص : 585 .

75 أحمد مختار عمر ، ص : 40 .

76 _ D . Leathers , Nonverbal Communication System (USA , 1976) .ينظر : أحمد مختار عمر ، ص : 40.

77 الحبيب النصراوي ، التوليد اللغوي ، ص : 223.

78 أحمد مختار عمر ، ص : 47 .

79 الحبيب النصراوي ، ص : 292 .